أحوال المُتعجب منه في القرآن الكريم

م.د. منى عبد الكاظم عبد مسلم
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف
mona20100mana@gmail.com

الخلاصة:

تكمن الغاية من البحث في إلقاء الضوء على المعاني النحوية المتضمنة في أسلوب التعجب الخبري فضلا عن عدد من أساليبه القياسية بما يكشف عن المعاني الإعجازية الخفية المؤثرة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على تمهيد وأربعة مباحث تليها خاتمة خصصتها لسرد أهم نتائج البحث، تليها قائمة بأسماء مصادر البحث ومراجعه، أما التمهيد فخصصته لتأصيل مفهوم التعجب وبيان شروطه، وصيغه القياسية، وأما المباحث فهي، **الأوّل:** التعجب من عدم تغيّر حال شيء أُسوة بنظائره، **والثاني**: التعجب بزيادة (كان) للتوكيد، **والثالث**: التعجب من حصر العام بالخاص الأفضل أو الأسوأ، **والرابع**: التعجب من حدوث المعجزة أو نداء الحسرة.

الكلمات المفتاحية: أسلوب التعجب، التعجب الخبري، معاني النحو، القرآن الكريم.

Abstract:

The aim of the research is to shed light on the grammatical meanings included in the style of declarative exclamation, as well as a number of its standard methods, in order to reveal the hidden, influential miraculous meanings.

The nature of the research required that it be divided into an introduction and four sections, followed by a conclusion that I dedicated to listing the most important results of the research, followed by a list of the names of the research sources and references. As for the introduction, I dedicated it to establishing the concept of wonder and explaining its conditions and standard forms. As for the sections, they are: the first: wonder at the lack of change in the state of something in comparison with its counterparts, the second: wonder at the addition of (was) for emphasis, the third: wonder at restricting the general to the specific, better or worse, and the fourth: wonder at the occurrence of a miracle or a cry of regret.

Keywords: Exclamatory style, Exclamatory statement, Grammatical meanings, Holy Quran.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإنّ أهمية دراسة أحوال المُتعجب منه ترجع إلى كشف معاني هذا الأسلوب ضمن أطر أساليبه الإنشائية القياسية والأساليب الخبرية التي تتضمّن معنى التعجب من استعظام شيء وغرابة حاله، فضلا عن عدم معرفة أسباب تحوّل حال ذلك الشيء من حال مألوفة إلى حال غريبة، وقد أشار إليها فريق من المفسرين، وأُغفلت دراستها في هذا الباب في بعض الأساليب الخبرية.

أما الغاية من البحث فتكمن في إلقاء الضوء على المعاني النحوية المتضمنة في أسلوب التعجب الخبري فضلا عن عدد من أساليبه القياسية بما يكشف عن المعاني الإعجازية الخفية المؤثرة.

أما مشكلة البحث فتظهر في سؤال الماهية، ما هو أسلوب التعجب؟ وما الدواعي منه؟ وما هي شروط صياغة (أفعل) التعجب، وكيف يتعجب المتكلم ممّا لم تتوافر فيه هذه الشروط؟ وما هي أحوال المتعجب منه، ولاسيما في الأساليب الخبرية؟

أما المنهج المستعمل في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يكشف عن معاني النحو الخفيّة المُضمرة في المُتعجب منه عن طريق تفعيل نظرية المقام بالقياس إلى أصل المعنى.

أما الدراسات السابقة التي أفادت منها الباحثة فهي كثيرة، وتنقسم على قديمة وحديثة، فأما القديمة، فأهمها كتاب (الكتاب) لسيبويه(ت١٨٠هـ)، وكتاب (المقتضب) للمُبرد(ت٢٨٥هـ)، وكتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج(ت٣١١هـ)، وكتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، الذي تحدّث عن تأثير عدد من معاني أدوات التعجب في أسلوب التعجب الخبري، وكتاب المُقرّب لابن عصفور الإشبيلي(ت٦٦٩هـ)، فضلا عن عدد من شروح الألفية، وغيرها.

وقد أفادت الباحثة من التفاسير في الدراسة التطبيقية، وأهمها الكشاف للزمخشري(ت٥٣٨هـ)، ومعالم التنزيل للبغوي(ت٤٥٠هـ)، ومجمع البيان للطبرسي(ت٥٤٨هـ)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي(ت٧٩١هـ)، وروح المعاني للآلوسي(ت١٢٧٠هـ) وغيرها.

أما المصادر الحديثة التي أفادت منها الباحثة فأهمها كتاب (من آراء الزجاج النحوية، قراءة في معاني القرآن وإعرابه)، للدكتور شعبان صلاح، الصادر عام (١٤١١هـ/١٩٩١م)، وكتاب (معاني النحو)، للدكتور فاضل السامرائي، الصادر عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). ورسالة الماجستير (التعجب في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية موضوعية) للباحث وليد بن حزم بن كديميس العتبي، الصادرة في العام الدراسي (١٤٣٢-١٤٣٣هـ)، وغيرها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على تمهيد وأربعة مباحث تليها خاتمة خصصتها لسرد أهم نتائج البحث، تليها قائمة بأسماء مصادر البحث ومراجعه، أما التمهيد فخصصته لتأصيل مفهوم التعجب وبيان شروطه، وصيغه القياسية، وأما المباحث فيه:

المبحث الأوّل: التعجب من عدم تغيّر حال شيء أُسوة بنظائره.

المبحث الثاني: التعجب بزيادة (كان) للتوكيد.

المبحث الثالث: التعجب من حصر العام بالخاص الأفضل أو الأسوأ.

المبحث الرابع: التعجب من حدوث المعجزة أو نداء الحسرة.

وعرّف ابن عصفور(ت٦٦٩هـ) التعجب تعريفا تداوليا بقوله: ((التعجب استعظام زيادة في وصف الفاعل خفيَ سببُها، وخرج بها المُتعجَب منه عن نظائره، أو قلّ نظيره، فقولنا: استعظام؛ لأنّ التعجب لا يُتصوَّر إلّا ممّن يجوز في حقّه الاستعظام؛ ولذلك لا يجوز أن يرد التعجب من الله تعالى...، وقولنا: زيادة، أكثر التعجب لا يكون إلّا ممّن يزيد وينقص، وأما الخِلَقُ الثابتة فلا يجوز أن يُتعجَب منها، إلّا أن يشذّ من ذلك شيء فيُحفظ ولا يُقاس عليه)).[١]

ويشير الفخر الرازي(ت٦٠٦هـ) إلى وجود معنيين أو أحدهما حتى يحصل التعجب، **أولهما**: غرابة تحوّل حال المتعجب منه، **وثانيهما**: عدم معرفة أسباب هذا التحوّل، وذلك قوله: ((استعظام الشيء مع خفاء سبب حصول ذلك الشيء، فما لم يُوجد المعنيان لا يحصل التعجب، وهذا هو الأصل، ثمّ قد تُستعمل لفظة التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب، أو من غير أن يكون للعظمة بسبب حصول)).[٢]

وتفيد حدود التعريف أيضًا أنّ المُتعجب منه هو حال شيء تحوّل من حال أولى مألوفة، إلى حال ثانية غريبة تحمل المتكلم أن يتعجب منها، قال ابن عاشور: ((العجب: مصدر عَجِبَ، إذا عُدّ الشيء خارجا عن المألوف أو الحصول)).[٣]

وأشار البيضاوي(ت٧٩١هـ) إلى الحال النفسية للمتكلم المتعجب بقوله: ((والتعجب: حيرة تعرض للإنسان لجهله بسبب المتعجب منه)) .[٤]

ومثال التعجب عند سيبويه(ت١٨٠هـ) هو تحوّل سعر البُرّ في قول العربِ الموثوقِ بعربيتهم: ((العجبُ من بُرٍّ مررنا بهِ قبلُ قفيزًا بدِرْهَم قفيزًا بدِرْهَم))[٥]، وهذا التحوّل قد يكون ارتفاعا غريبا في السعر، أو رخصا غير متوقّع.

وقد ورد مثال سيبويه مَرْفوعًا: (قفيزٌ بدِرْهَم)، لكنْ من دون ذكْرِ كلمةِ: (العجب)، ما يجعل تغيّر السعْرِ الغريب هو عاملُ نصبِ الحالِ، وليس التسعير الثابت، الذي تؤدّيه علامةُ الرفْعِ. ولم يلتفتْ حتى سيبويه نفسه لمعنى تغيّرِ الحركةِ الإعرابيَّةِ؛ لأنَّه انْشَغَلَ بالبحْثِ عن عاملِ حركةِ الرفْعِ فوجدهُ في استئنافِ كلامٍ جديدٍ: (مبتدأ خبر)،أي: (السعرُ قفيزٌ بدرهم)، بالاستغناء عن الحال. وهذا إعرابٌ صوريٌّ لا قيمةَ له من دون إعطاءِ معنى للرفْعِ، وهو ثبوتُ التسعيرِ، مقابل النَّصب الذي يدلُّ على ارتفاعِ السعر الغريب أو انخفاضه الغريب، ويُعْرَبُ (قَفيزًا) حينئذٍ حالاً متحوّلة.[٦]

وبعد عرض آراء اللغويين والمفسرين التي كشفت عن معاني التعجب يجدر بنا أن نتلمس عددا من خصائص هذا الأسلوب، وتبيان ما يدخل في ضمنه وما يخرج منه، وأهمّ هذه الخصائص ما يمكن إدراجه في النقاط الآتية:[٧]

١- يُطلق التعجّب على استنكار الشيء وغرابته، بسبب الجهل بأسباب التحوّل في حاله، أو قلّة حدوث ذلك الشيء وخروجه عن نظائره.

٢- يُعبّر عن التعجب عند استحالة وقوع ذلك التحوّل الغريب في حال الشيء، وهذا يجعل حدوث التحوّل معجزة من المعجزات الإلهية، التي يُسمّيها الله تعالى بالآيات، ويُقصد بها العلامات الطبيعية العجيبة، ومنها قوله تعالى :﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾.[٨]

-3هناك فرق بين مادة (التعجب) –التي هي موضوع البحث- ومادة (الإعجاب)، الأولى تشير إلى الإنكار أو الاستغراب، أو الاستحالة، أمّا الثانية فتشير إلى السرور والفرح، وقد يجتمع المعنيان معا، ومثاله قوله تعالى :﴿**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ* فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا**﴾.[٩]

وقوله: ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾[١٠]. قال الثعلبي(ت٤٢٧هـ): ((ومن الناس من يعجبك يا محمد–صلى الله عليه وآله– قوله: (في الحياة الدنيا)، أي: تستحسنه ويعظُم في قلبك، ومنه العَجَب؛ لأنّه تعظم في النفس، فقال في الخبر الاستحسان والمحبّة: أعجبني كذا، وفي الإنكار والكراهية: عجبتُ من كذا، وأصل العجب ما لم يكن مثله، قاله المفضّل)).[١١]

وللمُتعجب منه أحوال، إذ قد يتحوّل إلى حال غريبة تُثير عجب المتكلم، ذُكرت في تعريف ابن عصفور، وقد تبقى الحال ثابتة في الوقت الذي تتحوّل فيه الأشياء النظيرة وهذه لم تذكر في التعريف، والتعجب بزيادة (كان) لحكاية الحال الماضوية، والتعجب من حدوث المعجزة ونداء الحسرة.

ثانيا: شروط صياغة (أفعل) التعجب:

يُصاغ أفعل التعجب من كلّ فعل ثلاثي، تامّ، مُثبت، متصرّف، ومبنيّ للمعلوم، وقابل للتفاوت، وليس الوصف منه على (أفعل) نحو: (أسرع، وأعدل، وأعور)، فلا تقول: (ما أسرعَهُ)، و(ما أعدلَهُ)، (وما أعورَهُ).[١٢]

ويُتوصل إلى التعجب من الأفعال التي لم تستكمل الشروط بـ: ((أشدد ونحوه، وب ـ"ما أشدّ ونحوه"، وينتصب مصدر الفعل العادم للشروط بعد (أفعلَ) مفعولا، ويُجرُّ بعد (أفعِلْ) بالباء، فتقول: ما أشدَّ دحرجتَهُ واستخراجَهُ، وأشددْ بدرجتهِ واستخراجِهِ، وما أقبحَ عورَهُ، وأقبحْ بعورِهِ، وما أشدَّ حُمرتَهُ، وأشددْ بحُمرتِهِ)).[١٣]

وهناك فرق في المعنى بين استعمال (أفعل) التعجب وحده من جهة، واستعمال الصيغ المُساعدة من جهة أخرى، قال الدكتور فاضل السامرائي: ((ولا شكَّ أنّ الكلمة التي تسبق المصدر تُحدِّد المقصود بتعجبك، فقولك مثلا: "ما أشدَّ حُمرةَ الوردِ" يختلف عن قولك: "ما أجملَ حُمرةَ الورد"، فالأولى تتعجب فيها من شدّة الحُمرة، والثانية تتعجب فيها من جمال الحُمرة، وذلك قولك: "ما أسرعَ انطلاقَكَ"، و"ما أكثرَ انطلاقَكَ"، و"ما أقلَّ انطلاقَكَ"، فالتعجب في الأولى يكون من سرعةِ الانطلاق، وفي الثانية من كثرته، والأخرى من قِلّته، فهو ليس بمعنى واحد)).[١٤]

رابعا: التعجب بالصيغ القياسية:

١- صيغة (ما أفعلَهُ): نحو قولنا: (ما أجملَ الربيعَ)، أي: شيء جعل الربيعَ جميلا لا نعرفه. وقال تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾ .[١٥]

الإنسان مُزوّد بملكة تمييز الخير من الشرّ؛ لذلك –إذا سلمت فطرته- فإنّه يشتري الهدى ويبيع الضلالة، ولمّا حصل خلاف ذلك أصبحت حال هؤلاء ممّا يُتعجب منها.

ولما كان المتكلم هو الله تعالى فإنّ التعجب يجب تأويله بتقدير: (هؤلاء ممّن يجب أن يُتعجب منهم)؛ لأنهم اشتروا الضلالةَ بالهُدى، فصار مآلهم إلى النار[١٦]، قال الطبرسي: ((والتعجب لا يجوز على القديم-سبحانه-؛ لأنّه عالم بجميع الأشياء لا يخفى عليه شيء، والتعجب إنّما يكون ممّا لا يُعرف سببه، وإذا ثبت ذلك بالغرض أن يدلّنا على أنّ الكفار حلّوا محلّ من يُتعجب منه)).[١٧]

وقوله تعالى:﴿**قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾[١٨]، الحال المُتعجب منها هي ثبوت الإنسان على الكفر مع عدم وجود مسوّغ له، قال أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ): ((**"ما أكفرَهُ"**: الظاهر أنّه تعجّب من إفراط كفره، والتعجب بالنسبة للمخلوقين، إذ هو مستحيل في حقّ الله تعالى، أي: هو ممّن يُقال فيه ما أكفرَهُ**!**، وقيل: **"ما"** استفهام توقيف، أي: أيُّ شيءٍ أكفرَهُ؟ أي جعله كافرا، بمعنى لأيّ شيء يُسوّغ له أن يكفر)).[١٩]

٢- صيغة (أفعلْ بهِ):

قال ابن عصفور: ((أمّا التعجب على طريقة (أفعلْ به)، فلا يكون إلّا من الأفعال التي يتعجب منها على طريقة (ما أفعلَهُ)، إلّا أنّه لابدّ من بنائه أولًا على وزن (أفعِلْ)، التي يُراد بها: صار ذا كذا، نحو قولك: **"أبقلَ المكان"**، أي صار ذا بقل، وحينئذٍ يُبنى الأمر عليه، فيُقال: أسمِعْ بزيد، وأبصرْ بعمرو؛ لأنّه مبنيٌّ من فعل لا يتعدّى وفاعله ظاهر، وساغ وقوع الظاهر فاعلا للأمر بغير (لام) لما لم يكن امرًا في الحقيقة، بل المعنى الخبر... قال أوس بن حجر :[٢٠]

تردّدَ فيها ضوؤها وشُعاعها فأحصِنْ،وأزيِنْ بامرئ أن تسربلا)).[٢١]

وقال تعالى: ﴿**أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنْ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[٢٢]، قال ابن عاشور: ((**"**أسمع بهم وأبصر**"**: صيغتا تعجب، وهو تعجب على لسان الرسول والمؤمنين، أو هو مُستعمل في التعجيب، والمعنيان متقاربان، وهو مستعمل كناية أيضا عن تهديدهم؛ فتعيّن أنّ التعجيب من بلوغ حالهم في السوء مبلغا يتُعجب من طاقتهم على مشاهدة مناظره وسماع مكارهه. والمعنى ؛ ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم ...)) .[٢٣]

٣- التعجب بأسلوب: (فعُلَ):

قال ابن عصفور: ((أما التعجب على طريقة (فعُلَ)، فلا يجوز أيضًا إلّا ممّا يُتعجب منه، على طريقة: (ما أفعلَهُ) بقياس، ولا يلزم في الفاعل الألف واللام، فتقول: (ضرُبَ زيدٌ، وضرُبَ الرجلُ)، أي: ما أضربَهما، ويجوز دخول الباء الزائدة على الفاعل، فيُقال: (ضرُبَ بزيدٍ)، إجراءً له مجرى: (اضربْ بزيدٍ)؛ لأنّهما في معنًى واحد)).[٢٤]

وقال الدكتور فاضل السامرائي: ((الأصل في (فَعُلَ) أن يدلّ على الطبائع والسجايا، كقبح وحُسن، وقد يحوّل الفعل إلى هذه الصيغة لأغراض متعددة، منها الدلالة على التحوّل في الصفات...)).[٢٥]

قال تعالى: ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾[٢٦]، قال الزمخشري: ((و**"**كلمةً**"**: بالنصب على التمييز، والرفع على الفاعلية، وبالنصب أقوى وأبلغ، وفيه معنى التعجب، كأنّه قيل: ما أكبرَها كلمة**!**)).[٢٧]

المبحث الأوّل: التعجب من عدم تغيّر حال شيء أُسوة بنظائره:

يحصل هذا النوع من التعجّب عندما يفعل المُخاطب خلافًا لما يفعله الآخرون المدفوعين بأسباب

مُلزمة، فيُستفهم المتكلم وهو يُريد إنكار عدم تغيّر حال المخاطَب، وكان ينبغي أن تتغيّر حاله، فيقول المتكلم مُتعجبا: (ما لكَ قائمًا والناسُ قعود!).

قال سيبويه: ((ما شأنُكَ قائما"، و"ما شأنُ زيدٍ قائمًا"، و"ما لأخيكَ قائما"، فهذا حالٌ قد صار فيه، وانتصبَ بقولك: "ما شانُكَ" كما ينتصب "قائما" في قولك: هذا عبدُ اللهِ قائما بما قبله... وفيهِ معنى: "لِمَ قمتَ؟ في "ما شأنُكَ؟ و"ما لكَ"...)).[٢٨]

قال تعالى: ﴿**فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ* كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ**﴾[٢٩]، قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ((قيل تقديم (عن التذكرة) على (معرضين) دلالة على الحصر، أي أنّهم أعرضوا عن التذكرة المفيدة فقط، على كلّ حال فإنّ المُراد من التذكرة هنا كلّ ما هو نافع ومفيد وعلى رأسها القرآن المجيد)).[٣٠]

وإعراض الإنسان عمّا يُفيده في دنياه وآخرته، أمر عجيب؛ لأنّ المفترض أن يكونَ السلوك الصحيح هو إقبال الإنسان على ما يفيده، لكنّ حال هؤلاء الكفار كان مخالفا لما ينبغي أن تكون عليه، أي أنّهم نفروا عن التذكرة كما تنفر الحُمُر من الأسد.

قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ): ((شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذّكر والموعظة وشرادهم عنه بـحُمُر جدّتْ في نفارها ممّا أفزعها. وفي تشبيههم بالحُمر: مذمّة ظاهرة وتهجين لحالهم بيّن)).[٣١]

وقال ابن عاشور: ((و"ما لهم": استفهام مُستعمل في التعجيب من غرابة حالهم بحيث تجدر أن يستفهم عنها المُستفهمون، وهو مجاز مرسل بعلاقة الملازمة، و(لهم): خبر عن (ما) الاستفهامية. والتقدير: ما ثبت لهم، ومعرضين حال من ضمير (لهم)، أي يستفهم عنهم في هذه الحالة العجيبة)).[٣٢]

وقال تعالى: ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**﴾[٣٣]. لقد استنكر أولاد يعقوب الكبار خوف أبيهم على سلامة أخيهم الصغير يوسف-عليه السلام-؛ لأنّهم لا يرون وجود أسباب لهذا الخوف؛ لذا كان ينبغي أن يحوّل حال الخوف على ابنه الصغير إلى حال اطمئنان.

قال الآلوسي: ((جملة: " لا تأمنا" في موضع الحال، وكذا جملة:" وإنّا له لناصحون". والاستفهام بـ"ما لك!" فيه معنى التعجب، والكلام ظاهر في أنّه تقدَّم منهم سؤال أنْ يخرج -عليه السلام- معهم فلم يرضَ أبوهم بذلك)).[٣٤]

وقوله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ* وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[٣٥]، (ما لكم كيف تحكمون!) تعجّب من حُكم المشركين على الله تعالى بأنّه يشبه البشر بالزواج والإنجاب كما يتزوجون وينجبون، ولكنّه خالفهم بحبّه البنات -وهم الملائكة- على البنين.

وتصوّر الملائكة إناثا تصوّر عجيب أيضًا، حتى لو كانوا يعتقدون ذلك فإنّ هذا المعتقدات فاسدة، توارثوها من آبائهم الضالين، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ**﴾.[٣٦]

قال الزمخشري: ((وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم، وإنكار فضيع، واستبعاد لأقاويلهم شديد، وما الأساليب التي وردت عليها إلّا ناطقة بتسفيه أحلام قريش، وتجهيل نفوسها، واستركاك عقولها، مع استهزاء وتهكم وتعجيب، من أن يخطر مخطر ذلك على بالٍ ويحدّث به نفسًا، فضلا أن يجعله معتقدا وتظاهر به مذهبا)).[٣٧]

وقال ابن عاشور: ((وجملة: "تحكمون" حال من ضمير "لكم" في قوله تعالى: "ما لكم"، فحصل استفهامان، **أحدهما:** عن الشيء الذي حصل لهم فحكموا هذا الحكم. **وثانيهما:** عن الحالة التي اتصفوا بها

لما حكي هذا الحكم الباطل. وهذا إيجاز حذف إذ التقدير: ما لكم تحكمون هذا الحكم!، وكيف تحكمونه!، وحذف متعلّق "تحكمون" لما دلّ عليه الاستفهامان من كون ما حكموا به مُنكرا يحقّ العجب منه، فكلا الاستفهامين إنكار وتعجيب().[٣٨]

أما قوله تعالى: ﴿**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ**﴾، فيتضمّن معنى التعجب من ترك الاقتداء بالوحي المُنزل، والاقتداء بالإرث الديني المشكوك في صحته، وسبب التعجب هو عدم تغيّر حالهم من الضلالة إلى الهداية بعد نزول القرآن.

قال البغوي(ت٥٤٠هـ): ((قوله تعالى:" أولو كان آباؤهم"، أي كيف يتبعون آباءهم وآباؤهم (لا يعقلون شيئا)!. والواو في "أولو" واو العطف، ويُقال لها واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ. والمعنى أيتبعون آباءهم وإنْ كانوا جهّالا لا يعقلون شيئا، لفظه عام ومعناه الخصوص أي لا يعقلون شيئا من أمور الدين)).[٣٩]

وقول البغوي: (ويُقال لها واو التعجب)، أي التعجب من ثبوت حالهم على الضلالة مع وجود أسباب الهداية، وهو ما أوضحه الرازي بقوله: ((والمعنى معلوم، وهو ردٌّ على أصحاب التقليد...، واعلم أنّ الواو في قوله: "أولو كان آباؤهم") واو) الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار، وتقديره: أحسبهم كذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون)).[٤٠]

وقال تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[٤١]، تصوّر الكفار أنّ حال النعيم التي تنعّموا بها في الدنيا ستبقى مضمونة لهم في دار الجزاء، فيما لو وُجدت تلك الدار.

وهذا تصوّر فاسد قائم على الأهواء، ولا علاقة للعقل به؛ لأنّ العقل يحتاج إلى دليل وبرهان، أو حجّة دامغة، وإذا لم يجد ما يُفند حجة الخصم، استعان العقل بالنصّ القرآني لإقامة الحجة؛ لأنّ أحكام القرآن لا تتعارض مع الأحكام العقلية، ومخالفة القرآن والعقل أمرٌ يُتعجب منه.

قال الطبرسي: (("كيف" في محلّ نصب على الحال، تقديره: أجائرين تحكمون أم عادلين!. ويجوز أن يكون في محلّ المصدر، وتقديره: أيُّ حُكم تحكمون! وتحكمون في موضع النّصب على الحال من معنى الفعل في قوله: "ما لكم"؛ لأنّ معنى قوله: "ما لكم"، أيُّ شيء ثبت لكم!)).[٤٢]

وقال ابن عاشور: ((والاستفهام وما بعده من التوبيخ، والتخطئة، والتهكم على إدلالهم الكاذب، مؤذن بأنّ ما أنكر عليهم ووبخوا عليه وسفّهوا على اعتقاده كان حديثا قد جرى في نواديهم أو استسخروا به على المسلمين في معرض جحود أن يكون بعث، وفرضهم أنّه على تقدير وقوع البعث والجزاء لا يكون للمسلمين مزيّة وفضل عند وقوعه)).[٤٣]

المبحث الثاني: التعجب بزيادة (كان) للتوكيد:

تؤدّي (كانَ) غير العاملة وبعض أخواتها معنى التعجّب الخبري؛ لذلك أورد المالقي(ت٧٠٢هـ) قَوْلَ الشَّاعِرِ[٤٤] في بابِ التعجّبِ:

سَرَاةُ بَنِي أبي بَكرٍ تَسامى على -كان- المُسَوَّمةِ العِرابِ!

وأضافَ قائلاً إنّ (أصبحَ وأمسى): ((وردَا زائدين في التعجّب خاصّة... فيكونان إذّاك حرفين؛ لأنَّ الأفعالَ والأسماءَ لا تُزاد، وإنَّما تُزادُ الحروفُ، وإنْ كانَ اللفظُ للفعْلِ، كما زادوا (كانَ) في هذا البابِ، وفي قَوْلِ الشاعرِ...)).[٤٥]

وحَدَسُ المالقي -على الرغم من أهميته- لكنّه غير دقيق؛ لأنَّه خَلَطَ التعجّب بصيغة الخبر بالتعجّب

بصيغة الإنشاء، الذي وردتْ في شروح الألفيَّةِ أمثلةٌ له باستعمال (كان) بعد (ما) التعجبية، وهو ما يسمّونه بـ: ((الوقوع في حَشْو الكلامِ كوقوعها بين "ما" وفعل التعجّبِ، نحو: ما كانَ أحسنَ زيدًا!، وما كانَ أصحَّ عِلْمَ مَنْ تقدّم!، وبين المُسْنَدِ والمُسْنَدِ إليه كقوله: "أوَ نبيٌّ كانَ موسى!... ولم يردْ غيرها من أخواتها إلّا "أصبح، وأمسى" فيما شذَّ، من نحو قولهم: ما أصبحَ أبردَها، وما أمسى أدفأَها!...)).[٤٦]

أما التعجب بصيغة الخبر فيُعبّر عنه بزيادة (كان) للتوكيد وحكاية حال ما١ضوية، التي يكون دخولها كخروجها لا يُغيّر من الحركات الإعرابية، فضلا عن موقعها الغريب، أو باستعمال (كان) العاملة عمل (إنّ)، وقد جاءَ قولُ حسَّان بن ثابت[٤٧] بروايتين:

كأنَّ سَبِيئة من بيتِ رأسٍ يكونُ مِزاجُها عسلٌ وماءُ

الروايةُ الأولى برفْعِ اسمِ (يكون) (مزاجُها) ورفع خبرها (عسلٌ) وهي روايةُ الديوانِ، و(كان) غير العاملة زائدة لتوكيد التعجب، وتقدير الكلام: (يكون مزاجُ سلافةِ بيت رأسٍ عسلٌ وماءٌ)! لأداءِ معنى التوكيدِ غير القابل للدحْضِ، وعلامة هذا المعنى هو رفع خبر (كان).

أمَّا الروايةُ الثانيةُ فهي نَصْبُ اسمِ (يكون) المزعوم: (مزاجَها) وهي رواية جميع النحاة بِدْءًا من سيبويه[٤٨]، وقد ولَّدتْ حركةُ نَصْبِ اسمِ (كانَ) المزعوم ورفع خبرها مُشْكِلَةً عَويصَةً؛ لأنَّها حُلِّلتْ بتقنيةِ الأفعالِ الناسخةِ، فأصبحَ عملُ (كانَ) هذه كعملِ (إنّ) الناسخة، تنصبُ المبتدأ المَعْرِفَةَ، وترفعُ الخبرَ النكرةَ، فاضطربَ النحاة التقليديون أيَّما اضطرابٍ في توجيه هذه الظاهرةِ ابتداءً من سيبويه الذي استدلَّ بهذه الظاهرةِ على إمكانِ مجيء اسمِ (كان) نكرة مَحْضَة، وخبرها مَعْرِفَة للضرورة الشعرية[٤٩]، أي أنّه جعل المعرفة المنصوبة خبرا، وجعل النكرة المرفوعة اسم (كان)، فظهرتْ مُشْكِلتَان:

أولاهما: مُشْكِلَةُ تنكيرِ المبتدأ الذي حقّه أنْ يكونَ مَعْرِفَةً.

وثانيتهما: مُشْكِلَةُ تعريفِ الخبر الذي حقّه أنْ يكونَ نكرةً.

ووضع الزمخشريُّ لهذه المشكلة مُصْطَلَحًا سمّاه: (القلب)[٥٠]، وعرَّفهُ ابنُ هشام(ت٧٦١هـ) بأنَّه: ((جعل المَعْرِفَة الخبر، والنكرة الاسم))[٥١]، وهو خلاف ما تواضعَ عليه طرفَا التواصلِ؛ لذلك جعلوه من الضرورات الشعريَّة، ولكنَّ هذه الظاهرةَ حين ظهرتْ في آياتٍ قُرآنيَّةٍ، قيل في تأويلها آراءٌ غريبةٌ وعجيبةٌ سَرَدَها محقِّقُ كتابِ (المقتضب) في هامشه .[٥٢]

والصحيح هو أنّ هذا الأسلوب هو تعجّب خبري، يُعرف من ظاهرة القلب، ويتَّضِحُ معنى التعجب الخبري أكثر في سياقِ الاستفهامِ الإنكاري، في قول الشاعر:[٥٣]

فإنّكَ لا تبالي بعدَ حَوْلٍ أظبيٌّ كانَ أمَّكَ أم حمارُ

وأصل الكلام: (لا تبالي سواء أكانَ أمَّكَ ظبيٌ، أم حمارٌ!)، ويمكن إهمال عمل (كان)، فيرتفع ما بعدها على أنّهما: مبتدأ وخبر، وقد نقلَ سيبويه بعضَ كلامِ العرب قولهم: ((مَن كانتْ أُمُّكَ!...كما قالوا: "منْ كانتْ أُمَّك!...))[٥٤]، وهو خطابُ الأمّ لابنها تذكّره بمواقفها مستنكرةً سلوكَ الابن الشائن معها الآن.

كذلك تقول للصديق: (مَن كانَ أخاكَ!) على التعجُّب الخبري، تذكِّره بمواقفك معه، و(مَن كانَ أخوك) على التوكيد غير القابل للدحض، خلافا للاستفهام الحقيقي الذي يجعل اسم الاستفهام المقدَّم اسم (كان) وخبرها المنصوب (أخاكَ)، في سؤالك: (مَن كانَ أخاك؟) فيُجيب: زيدٌ.

قال تعالى: ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ**

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٥٥]. وقُرئ (جوابُ قومه) بالرفع، قال أبو حيان الأندلسي: ((وقرأ الجمهور: (جوابَ) بالنصب، والحسن، وسالم الأفطس، بالرفع، اسما لـ"كان"...))[٥٦]. وتحاشى أبو حيان إعراب قراءة الجمهور بالنصب، التي يمكن عدّها علامة تعجب أُستعيرت من أسلوب الإنشاء، ونُقلت إلى أسلوب الخبر؛ لأنّ القول بوجود تقديم وتأخير تفسد المعنى.

ومعنى التعجب يأتي من كون اختيار إحراق قوم إبراهيم لنبيّهم إنّما سيكون حجّة عليهم دلالة على صحة نبوّة هذا النبي العظيم؛ لأنّ الحرق صار معجزة خالفت توقعات قومه المشؤكون، وهي إما الرجوع عن دين التوحيد إلى دين الشرك، وإما الموت ليخلصوا منه، فهو مثل قوله تعالى: **﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾**[٥٧]. والتقاط المرء لشيء على سبيل الانتفاع به، ثمّ تنقلب فكرة الانتفاع إلى ضرر جسيم من الأمور العجيبة؛ لأنّ الفاعل غلط في تقدير الأسباب ومعرفتها.

واصل الكلام: (وما جوابُ قومه إلّا أن قالوا...)، وزيادة (كان) –بحسب ما يرى سيبويه- لإفادة أنّ الحال المُتعجب منها كانت في الماضي، وذلك قوله: (("ما كانَ أحسنَ زيدًا" فتذكر "كان" لتدلّ أنّه فيما مضى)).[٥٨]

والصحيح تدلّ على حكاية حال ماضوية؛ لأنّ الحال يُقال في الحاضر، أما زمن المضي والمستقبل فالمتكلم ينقل للمتلقي حكاية حال ماضوية، في قوله: (جاء زيدٌ راكبا أمسِ) أو حكاية حال مستقبلية في قوله: (يجيءُ زيدٌ راكبا عدا) .[٥٩]

ويمكن رفع: (جوابُ قومه) على الابتداء، والمهم أنّ تركيب المُسند إليه يحتمل النصب والرفع: (ما كانَ "جوابَ/ جوابُ) قومه إلّا أن قالوا...) على غرار قول سيبويه: (ما كانَ "الطيبَ/ الطيبُ" إلّا المسك)، وقد رُفع (جوابُ) في قراءة: الحسن.[٦٠]

ويمكن تفسير اضطراب النحو التقليدي في توجيه النصب والرفع من جعل الرفع: (ما كان جوابُ قومه إلّا أن قالوا...) مبتدأً، وجعلوه في حال النصب خبرا مقدَّما، وهذا غلط؛ لأنّه يجعل المعرفة المشتركة بين طرفي الاتصال خبرا نكرة.

قال ابن يعيش: ((وقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا﴾**، يُروى برفع الجواب ونصبه، فمن رفعه، كان الخبر "أنْ" والفعلَ، على تقدير: "فما كان جوابُ قومه إلّا قولهم...". ومن نصبه، كان خبرا مقدَّما، و"أنْ قالوا" في موضع الاسم)).[٦١]

وتحاشى ابن يعيش تقدير الكلام في الإعراب الثاني، الذي هو: (ما كان قولُ قومه أن اخرجوا المتطهرين... إلّا جوابَهم)، وهذا التقدير مضطرب، ومعناه فاسد؛ لذلك تجاوز هذا الإعراب معظم المفسرين والنحويين.

وقال تعالى: **﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ* وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** .[٦٢]

في الآيتين الكريمتين يُوجد معنى التعجب في ثلاثة مواطن، **الأوّل**: قول الدهريون-وهم الملحدون إلحادا كلّيا-: **(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا(، والثاني) :مَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ)** وهو حصر الهلاك بالدهر من دون الله، وقد أنزلوه منزلة البرهان الحسي المشهود، أي أنّ تعاقب الأيام هو المُهلك الأعمى، الذي لا يقدر على إحياء الموتى، **والثالث**: تكذيب فكرة البعث عند المؤمنين في حال عجزهم عن إحياء آباءهم الأموات: **(مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)**. وهؤلاء ممّن يُتعجب من عقائدهم الفاسدة، التي حملتهم على إنكار وجود الله، وترك الطاعة.

قال الزمخشري: ((ذهبت هذه الفرقة إلى ترك العبادات رأسًا؛ لأنّها لا تفيد، وإنّما الدهر بما يقتضيه، مجبولٌ من حيث الفطرة على ما هو الواقع فيه. فما ثَمّ إلاّ أرحام تدفع، وأرض تبلع، سماء تقلع، وسحاب تقشع)).[٦٣]

نلحظُ أنَّ السياقَ المقاميَّ يدلُّ على مقامِ التعجّبِ، ففي الآيةِ الأولى كان ردُّ قومِ لوطٍ(ع)، هو طردُ لوط وآلِه من قريتهم لا لشيء إلاّ لأنَّه دعاهم إلى التطهّرِ بالنهي عن ارتكاب الفاحشةِ، وكذلك الأمر في الآية الثانية كانتْ حُجَّةُ الذين أنكروا البعث من الدهريين أنْ يُحيي النبيُّ-صلى الله عليه وآله- آباءهم في الدنيا ليؤمنوا بإحياءِ الله تعالى للموتى يوم القيامة.

وعلى هذا الأساسِ يمكنُ تحليلُ الآيتين بالجدول الآتي:

ما	كان التعجبية	مبتدأ منصوب	حصر	خبر في محل رفع
ما	كان	جوابَ قومِه	إلاّ	أنْ قالوا اخرجوا المتطهرين
ما	كان	حُجَّتَهم	إلاّ	أن قالوا ابعث آباءنا أحياءً لنؤمن بالبعث

وبيتُ حسَّان بروايةِ نصبِ اسمِ (كانَ) المزعوم والآيتان الكريمتان شواهدُ قويَّةٌ تدلُّ على وجودِ هذا الأسلوبِ التعجّبي، وعلامتهُ نصب المُتعجَّب منه المعرفة: (مزاجَها، وجوابَ قومهِ، وحجّتَهم) في الجُمَلِ الخبريَّة على غِرَارِ نَصْبِ المتعجّب منه في الجُمْلَةِ الإنشائيَّة: (ما كانَ أجملَ الربيعَ!)، التي يُمكنُ مجيؤها بأسلوب الحصر الخبري: (ما كانَ الربيعَ إلاّ أجملُ الفصول!).

ويتضمَّنُ خبرُ التعجّب الخبري معنى الإنشاء ويكونُ توكيدهُ أقوى من الإنشاءِ نفسه؛ لأنَّ الخبرَ التعجّبي موجَّهٌ لمتلقٍ يُريدُ منه المُتكلِّمُ أنْ يتفاعل معه وينشّط كفايته التأويليَّة ويفكّر ويكتشف مَقَاصِدَهُ الخفيَّةَ ويتدبَّرها، فيسخرُ ويستنكرُ مواقفَ الذين أراد المُتكلِّمُ أنْ يسخرَ منهم وهم: قوم لوط الذين أرادوا تطهير قريتهم من المتطهّرين!، والدهريون الذين يرون أنَّ الله هو الزمنُ الذي لا رجعةَ فيه، فهو يلدهم وهو يميتهم!، وطلبوا من المؤمنين إحياء موتاهم ليؤمنوا بالله القادر على إحياء الموتى!.

هذه المعاني الفَخْمَةُ التي وردتْ في الآيتين الكريمتين لم يستطعْ مَنْهَجُ النحو التقليدي أنْ يكتشفها، بل عَمِلَ على طمْسِها، وأنتجَ مُشْكِلَتين ظهرتْا من العَدَمِ، وهما: مُشْكِلَةُ تنكيرِ اسمِ (كانَ)، ومشكلة تعريفِ خبرها من حيث الشكل اللغوي؛ لهذا السَّبَبِ جاءتْ تأويلاتُ النحو التقليدي شكليَّةً لا قيمةَ لها، ومثالُ ذلك تأويل ابن يعيش الذي أباحَ قراءةَ نَصْبِ المبتدأ الواردة في المُصْحَفِ تارةً، وجعل الخبر مَصْدرًا مؤوّلاً في محلِّ رَفْعٍ، لتأكيد ظاهرةِ (القلب) المَزْعُومَةِ، وأباحَ تارةً أخرى قراءةَ رَفْعِ المبتدأ على الأصلِ ونَصْب الخبر المصدرِ المؤوَّل الذي لم تظهرْ حركته إلاّ تقديرًا، وبهذا تُصبح (كان) ناسخة، ويكون المعنى فَاسِدًا، إذ يعني: (كان جوابُ قومِه كذا في الماضي، أمّا الآن فتغيَّر جوابهم وتابوا!)، وذلك قوله: ((إذا نصبتَ الأولَ كان "أنْ" مع الفعل في تأويلِ اسمٍ مَرْفُوع [على القلب]، وإذا رفعتَ الأول، كان في تأويلِ اسم مَنْصُوب؛ لأنّ "أنْ" والفعل في تأويل مَعْرِفَة... والتقدير: "إلا قولهم"...)).[٦٤]

إنَّ قراءةَ رفْعِ المبتدأ في: (ما كان جوابُ قومِه إلاّ ...) هي قراءة الحسن[٦٥]، وهي -بحسب تقنية البحث- تكون فيها (كان) غير عاملة تؤدي معنى التوكيد غير القابل للدحض، والمصدر المؤول في محل رفع بإهمال عمل (كان)؛ لأنّ افتراض النحاة أنّ (كان) ناسخة يؤدي معنى فاسدا، بحسب ما أوضحناه سابقًا.

إنَّ مقامَ التعجّبِ الخبري يدلُّ على مراقبةِ الله تعالى لصَبْرِ نبيّه والعزمِ على التدخّلِ في أيّةِ لحظةٍ لإنقاذه؛ بدليل قوله تعالى: **﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنْ الْغَابِرِينَ* وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانظُرْ كَيْفَ**

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.[٦٦]

وقراءةُ الرفْعِ للآية الثانية: (ما كان حجّتُهم إلاّ...) قراءةٌ قويَّةٌ لابن عامر، وعاصم، وعمرو بن عبيد، وزيد بن علي، وعُبيد بن عمير، وهارون، وشُعبة، والحسن البصري، ورويس[٦٧]، وتؤدّي معنى التوكيد غير القابل للدحْضِ، و(كان) هنا غير عاملة، أمَّا قراءةُ المُصْحَفِ فتؤدّي معنى التعجب الخبري، وهو مراقبةِ صَبْرِ النبيّ محمدٍ-صلى الله عليه وآله- على حجّةِ الدهريين، والعزم على التدخّلِ لإنقاذِ نبيّهِ من إحْرَاجِ المُنكرين للبعثِ بسؤالهم المُحيّر، فعلَّمه الردَّ على الجاهلين بقوله: **﴿قُلْ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾**.[٦٨]

بهذه التقنيةِ التحليليَّةِ يُمكنُ بيانُ المعاني المقصودةِ للشواهد الواردة في مَصَادر النحو والتفاسير بسهولة، فضلاً عن الأقوالِ النثريَّةِ الفصيحةِ التي ذكرها سيبويه ولم يتطرّق إلى معانيها؛ لأنَّه انشغلَ في تدبّرِ عاملِ النَّصْبِ، فكانَ يُبدّلُ (كانَ) بـ(ضَرَبَ)، وذلك قوله: ((**"ما كانَ أخاكَ إلاّ زيدٌ"**، كقولك: **"ما ضربَ أخاكَ إلاّ زيدٌ"**. ومثل ذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا...﴾**، و**﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا﴾** ...)).[٦٩]

لقد ضَعَّفَ سيبويه هذا الأسلوبَ في كلامِ العربِ وفي شعرِ الفصحاءِ بقوله: ((وقد يجوزُ في الشعر وفي ضَعْفٍ من الكلام، حملهم على ذلك أنّه فعلٌ بمنزلة ضربَ...))[٧٠]، ومع ذلك ذَكَرَ شواهدَ قرآنيَّةً منها الآيتان السابقتان، فضلاً عن ذلك هناك قراءةٌ لآيةٍ قرآنيَّةٍ ثالثةٍ تعزّزُ وجودَ هذا الأسلوبِ، وهي قراءةُ نَصْبِ المبتدأ المزعوم في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾**[٧١]، وهي قراءةُ حمزة والكسائي وشعبة.[٧٢]

ومعنى النصْبِ هو معنى التعجّبِ الخبري من المشركين الذين يُقسمون يومِ القيامة بأنَّهم لم يشركوا، على الرغمِ من وجودِ الأدلّةِ الكافيةِ على إشراكهم المكتوبةِ في صحائف أعمالهم؛ لذلك جاءَ التعليقُ -على كذبهم الفاضحِ- ساخرًا، ما يجعل هذا المعنى وَجِيهًا، أمَّا قراءةُ الرفْعِ بعد (كانَ) غير العاملة فتعني التوكيد غير القابل للدحْض، ويُعبّرُ عن فسادِ عقولِ الذين أقسموا على صِحَّةِ الكَذِبِ، بحسب ما ورد في الآية التالية من سخرية: **﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾**.[٧٣]

قال الفخر الرازي: ((إنّهم إنّما قالوا:" أناس يتطهرون" على سبيل السخرية بهم وتطهّرهم من الفواحش، كما يقول الشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنّا هذا المتقشف، وأريحونا من هذا المتزهّد)).[٧٤]

وقد تحصل مفاضلة بين الأضداد، ولكنّها صورية يُراد بها التبصّر، نحو المفاضلة بين: الخيْرِ والشرّ، والعَسَل والعَلْقَم، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾**[٧٥]، وقوله: **﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾**[٧٦]، وقولُ العرب: (العسلُ أحلى من العلقم).

قال ابن الطراوة(ت٥٢٨هـ): ((هذا كلُّه من التبصير، لا من باب التفضيل عليه، كما تقول العرب: "السعادةُ أحبُّ إليكَ أم الشقاء؟"، وقد علِمَ أنّه يقول: الشقاء [لأنّه اختاره]، ولكنّه بصّره بأنْ جعل له الشيءَ إلى جنب ضدّه لفظًا فيتخيّل ذلك في ذهنه حِسًّا، فيثورُ للنفس من الطبع كامنٌ يزجرها عن المكروه منهما؛ لأنّ أخلاق النَّفس تابعةٌ لمزاج البدن...)).[٧٧]

المبحث الثالث: التعجب من حصر العام بالخاص الأفضل أو الأسوأ:

هناك أداتان لحصر المُتعجب منه بالأفضل على الإطلاق، والأسوأ على الاطلاق، **أولاهما**: أداة الحصر: (ما... إلّا...)، (ما) النافية التي تنفي الماضي وتقرّبه من الحال، وإذا دخلت على المضارع خلصته للحال عند الجمهور[٧٨]، و(إلّا) الناقضة للنفي، وبهذا يتحوّل النفي إلى إثبات قوي يفيد معنى التوكيد، ويؤدّي

هذا الأسلوب معنى التعجب إذا حُصر الوصف العام بالخاص الأفضل على الإطلاق، أو بالأسوأ على الإطلاق.

ومثال الأوّل قول سيبويه: (ليس الطيبُ ُالّا المسكُ)[٧٩]، و(ليس) هنا حرف كـ(ما)، قال أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ): ((لأنّه إذا احتجَّ بقولهم: (ليس خلقَ اللهُ مثلَه)، فقال: خلق فعل، ولو كانت (ليس) فعلا لما وليها فعل...وأنشد لحميد الأرقط:[٨٠]

فأصبحوا والنّوى عالي مُعرّسهم وليس كلَّ النّوى يَلقي المساكينُ

فنصب (كلَّ) بـ"يلقي"، وجعل (ليس) بمعنى (ما)، كأنّه قال: ما يلقي...))[٨١]. وأكل بعض النوى وإلقاء بعصه في بيت حميد الأرقط، يشير إلى أسوأ أحوال هؤلاء المساكين.

وثانيتهما: الأداة (إنّما): وهي تنبّه المتلقي إلى ما يجب عليه من حقّ سواء كان الحقّ إحسانا نحو قولهم: (إنّما هو أخوك)[٨٢]، أم كان الحقّ إساءة، أي الذي يتضمّن معنى السخرية، نحو قوله تعالى: **﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾**.[٨٣]

قال الجرجاني: ((إنّ الجزاء ينبغي أن يكون على قصدهم الاستهزاء وفعلهم له، لا على حديثهم عن أنفسهم بأنّا مستهزئون... من حيث كانت المؤاخذة تكون على اعتقاد الاستهزاء والخديعة في إظهار الإيمان، لا في قول: "إنّا استهزأنا" من غير أن يقترن بذلك القول اعتقادٌ ونيّة)).[٨٤]

يشير تحليل الجرجاني إلى حصر السلوك العام بأنواعه: الجميل، والمحايد والأسوأ من، والأسوأ على الإطلاق، حصره بالسيء على الإطلاق، بدليل خلوّه من استعمال (من) التي تُستعمل للمفاضلة بين شيئين بينهما تفاضلا يسيرا، نحو قولك: (زيدٌ أطولُ من عمرو)، فكلاهما طويل، لكنّ لزيدٍ على عمرو فضلاً بسيطا في الطول[٨٥]. بمعنى أنّ الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين إنّما هي سجية متأصلة في نفوس هؤلاء المنافقين، لها بُعد نفسي واعتقادي واجتماعي.

وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلا إِنَّهُمْ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾**[٨٦]. قال الزمخشري: ((الفساد: خروج الشيء عن استقامته وكونه مُنتفعًا به، ونقيضه الصلاح، وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة. والفساد في الأرض: هيج الحروب والفتن؛ لأنّ في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية)).[٨٧]

هذه أسوأ حال لهؤلاء المنافقين، والأسوأ منه أنّهم ينفون هذه الحال ويدعون أنّهم يتسمون بضدّها وهي حال الصلاح، التي أكدوها باستعمال أداة الحصر (إنّما)، قال العكبري(ت٦١٦هـ): ((وتفيد (إنّما) حصر الخبر فيما أُسند إليه الخبر، كقوله: **﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾**.[٨٩]))[٨٨]

وهذا التناقض بين ادعاء المؤمنين لفساد المنافقين من جهة، وادعاء المنافقين ضدّ ذلك، حُسم بتوكيد نسبة الفساد لهم في الآية التالية، قال الزمخشري: (("ألا": مركّبة من همزة الاستفهام وحرف النفي؛ لإعطائه معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا له... ردّ الله ما ادّعوه من الانتظام في جملة المُصلحين أبلغ ردّ وأدلّه على سخط عظيم، والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين "ألا"")).[٩٠]

ومن صور الحصر بالأفضل على الإطلاق قوله تعالى: **﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾**[٩١]، بمعنى نفي البشرية عن يُوسف-عليه السلام- لإثبات ملائكيته.

قال الجرجاني: ((تقول: "فإنْ لم يكن بشرًا" فما هو؟ وما جنسه؟، كما أنّك إذا قلت: "مررتُ بزيدٍ

الظريفِ" كان "الظريفُ" تبيينًا وتعيينا للذي أردتَ من بين من له هذا الاسم، وكنت قد أغنيتَ المُخَاطَب عن الحاجة إلى أنْ يقول: "أيُّ الزيدينِ أردت؟")).[٩٢]

وإذا عمِلت (ما) عمل (إنّ) فإنّها تؤدي أسلوب الخبر التعجبي، نحو قولنا: (ما زيدًا بشرٌ!، بل هو ملاكٌ)، ومنه قول الفرزدق الذي ينصب فيه المبتدأ ويرفع الخبر في سياق النفي بـ(ما) العاملة عمل (إنّ)، وذلك قوله:[٩٣]

فأصبحوا قدْ أعادَ اللهُ نعمتَهُمْ إذْ هُمْ قريشٌ وإذْ ما مثلَهُم بَشَرُ

وهو أسلوب تعجب خبري، لكنّ النحاة توهموا أنّ (مثلَهم) خبر (ما) المُقدَّم المزعوم؛ بسبب حركة النصب، و(بشرٌ) اسم (ما) المؤخَّر المزعوم. ومن شروط عمل (ما) في النحو التقليدي: ((أنْ لا يتقدَّم خبرُها على اسمها، وهو غير ظرف ولا جارٌ ومجرور، فإنْ تقدَّم وجبَ رفعُه، نحو: "ما قائمٌ زيدٌ"، فلا تقول: "ما قائمًا زيدٌ"، وفي ذلك خلاف)).[٩٤]

والخلافُ جاءَ على بيتِ الفرزدق السابقِ الذي قال عنه سيبويه: ((وهذا لا يَكادُ يُعْرَف[٩٥])، وتابعه النحاة التقليديون في ذلك حتى اليوم، فلم يقرُّوا بروايةِ نصْبِ خبرِ (ما) المزعوم إذا تقدَّمَ على المبتدأ؛ لأنّنا لا نرى وجود تقديم وتأخير، وجملةُ الفرزدق جملةٌ اسميَّةٌ، وتقديرها على اللغة الشائعة: (ما قريشٌ بشرًا)، لكنّ الشَّاعرَ قلبَ الحركاتِ لأداءِ معنى التعجّبِ الخبري، فقال: (ما قريشًا بشرٌ!)، وهو أسلوب ورد في القرآن الكريم بحَسَبِ ما تقدّم.

وتُعرفُ اسميةُ جملةِ الفرزدق باستعمالِ قاعدةِ التأمّلِ في عمليةِ الإسنادِ[٩٦]، إذ نسألُ ما أرادَ أنْ يُسْنِدَ المُتكلِّمُ القائلُ: (ما قريشٌ بشرًا)، الجوابُ أرادَ نفي إسنادِ البشريةِ إلى (قريش)، فيكون: (بشرًا) مسند (خبر) متأخّر في موقعه، و(قريش) مسند إليه مبتدأ متقدّم في موقعه أيضًا.

ويمكنُ استعمالُ قاعدةِ نفي وإثبات الخبر فنقول: (قريشٌ بشرٌ)، و(ما قريشٌ ببشرٍ)، فيكونُ ما بعد حرفِ الجرّ المؤكِّد للنفي هو المُسْنَدُ، وهذا يعني أنّ (قريش) هو الاسمُ المسندُ إليه المبتدأ المعرفةُ المشتركةُ بين طرفي الاتصال، بِحَسَبِ قاعدةِ التواسمِ المتبادلِ بين المُسْنَدِ والمُسْنَدِ إليه، لكنَّ الشاعرَ نصبَ المبتدأ ورفعَ الخبرَ لأداءِ معنى التعجّب الخبري، والجدولُ الآتي يوضّحُ ذلك:

أداة النفي	المسند إليه الاسم	المسند الفعل
ما	زيدًا	بشرٌ!
ما	قريشًا	بشرٌ!
ما	مثلَ قريشٍ	بشرٌ!

لقد أشارَ ابن عقيل إلى الخلافِ الذي حصل بين النحاة التقليديين، الذي فصَّلهُ محققُ كتابِ شرح ابن عقيل مُغلِّطًا الفرزدق بقوله: ((فإنَّ الشاعرَ قد أخطأ في هذا، والسرُّ في ذلك الخطأ أنَّه تميميٌّ، وأرادَ أنْ يتكلَّمَ بلغةِ أهلِ الحجازِ، فلم يعرفْ أنَّهم لا يُعْمِلونَ "ما" إذا تقدَّمَ الخبرُ على الاسم. ولعلَّه وَجَدَ خبر "ليس" قد جاءَ مُتقدِّمًا على اسمها، فتوهَّمَ أنَّ "ما" -لكونها بمعنى "ليس"- تُعطى حُكمَها، ولم يلتفت إلى أنَّ "ما" فرعٌ عن "ليس" في العملِ، وأنّ الفرعَ ليس في قوَّة الأصلِ.!))[٩٧]

وانتقد المالقي هذه الأحكام غير العلميَّة بقوله: ((العربيُّ لا يقيسُ تأخيراً على تقديمٍ، ولا يتفقّه، وإنَّما ذلك حظُّ النحويّ، وإنَّما ينطقُ العربيُّ بلغته الطبيعيَّة، وإنَّما يَسْمَعُ ولا يقولُ شيئًا لا يقولهُ قومُه وأهلُ لغتهِ، ولا غير أهل لغته فيلحنُ، وإنّما اللحنُ في حقِّنا خاصَّة .[٩٨])(

ومن صور حصر الحال بالأسوأ على الإطلاق قوله تعالى: **﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ* وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾**.[٩٩]

ويمكن تقدير قوله: (ما كانَ جوابَ قومه إلّا أن قالوا...) بـ: (ما أقبحَ جوابَ النجسين أن قالوا: اخرجوا المتطهرين من قريتكم)، لكن الأسلوب الأول جاء بصيغة الخبر، في حين جاء التقدير بأسلوب الإنشاء، والمعنى واحد هو التعجب، إذ حصر قوم لوط الأجوبة العامة: الجميلة والمحايدة والقبيحة نسبيا والقبيحة على الإطلاق بالقبيحة على الإطلاق فقط التي تنافي المنطق والمبادئ الأخلاقية، أما منافاة المنطق فيظهر في إتيان الرجل للرجال بدلا من إتيانهم المرأة لإشباع اللذة الجنسية للطرفين، وإشباع غريزة الأمومة عند المرأة، وتكاثر النسل الذي يتغلّب فيه الكائن الحي على الموت، علما أنّ الحيوانات لم تفعل فعل قوم لوط.

وأما مخالفة المبادئ الأخلاقية، فإنّ إتيان الرجال للرجال يُعدّ شذوذا، وهو ضرب من الرذائل، ولا يمكن عدّ الرذيلة مقياسا لفضيلة التطهّر إلّا على نحو السّخرية، وهو قولهم: (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ...)، وهذا أمر يُتعجب منه الله تعالى والناس الأسوياء.

المبحث الثالث: التعجب من حدوث المعجزة ونداء الحسرة:

أولا: التعجب من حدوث المعجزة:

سمّى الله تعالى العلامات الطبيعية العجيبة بـ(الأيات)، وهي مرادفة للمعجزات؛ لذا يمكن تعريف المعجزات بأنّها أمور: ((تستحضر وتستثير الإدراك بوجود الله))[١٠٠]، ومن ذلك قوله تعالى :**﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾**[١٠١]، أي جعلنا ولادتها لعيسى من غير زوج علامة طبيعية عجيبة، قلّ نظيرها ولم تُعرف أسباب حدوثها؛ لذلك تثير عجب المتلقي.

قال ابن عاشور: ((لمّا كانت آية عيسى العظمى في ذاته في كيفية تكوينه كان الاهتمام بذكرها هنا، ولم تذكر رسالته؛ لأنّ معجزة تخليقه دالة على صدق رسالته. وأما قوله:) وأمّه)، فهو إدماج لتسفيه اليهود فيما رموا به مريم -عليها السلام- فإنّ ما جعله الله آية لها ولابنها جعلوه مطعنًا ومغمزا فيهما. وتنكير (آية) للتعظيم؛ لأنّها آية تحتوي على آيات. ولما كان مجموعها دالّا على صدق عيسى في رسالته جعل مجموعها آية عظيمة على صدقه)).[١٠٢]

وقال تعالى :**﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾**[١٠٣]، يرى بعض المفسرين أنّ بشرى زوج إبراهيم-عليه السلام- بولدين –وهي وزوجها عجوزان- كان قبل ضحك الزوجة.

قال الطبرسي: ((... وقيل: تعجبا وسرورا من البشارة بإسحق؛ لأنّها كانت قد هرمت، وهي ابنة ثمان وتسعين سنة، أو تسع وتسعين سنة، وكان قد شاخ زوجها، وكان ابن تسع وتسعين...، ولم يرزق لهما ولد في حال شبابهما. وعلى هذا فيكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: فبشرناها بإسحق ويعقوب فضحكت بعد البشرى، وروي ذلك عن أبي عبد جعفر-عليه السلام-)).[١٠٤]

وقد استعملت (الفاء) لعطف بعض الجمل على بعض، وهي تفيد ترتيب الأحداث من دون مهلة، قال المرادي: ((إذا قلتَ: قام زيدٌ فعمرو، دلّت على أنّ قيام عمرو بعد زيد بلا مهلة، فتشارك (ثمّ) في إفادة الترتيب، وتفارقها في أنّها تفيد الاتصال))[١٠٥]، أي أنّ الحدثين حصل بينهما تقديم وتأخير.

والتعجّب من حدوث المعجزات ومن تحول العناصر البسيطة إلى مخلوقات طبيعية عجيبة كثيرة الورود في القرآن الكريم؛ لأنّهما من الأدلة المشهودة على وجود الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى :﴿**وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾.[١٠٦]

تشير الآية الكريمة إلى أنّ العناصر الأولية لحياة النبات من تراب وماء وهواء واحدة، ولكنها تنتج عددا كبيرا من أنواع الثمار التي نفضل بعضها على بعض في الأكل نظرا لاختلف طعومها وفوائدها، وهو ما يشير إلى وجود الخالق المدبر وراء تلك الصناعة العجيبة.

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (("صنوان": جمع «صنو» بمعنى الغصن الخارج من أصل الشجرة، وعليه فالكلمة تعني الأغصان المختلفة الخارجة من أصل الشجرة. ... ويمكن أن يكون لكلّ واحد من هذه الأغصان نوع خاصّ من الثمر، وهذه قد تشير إلى قابلية الأشجار للتركيب. ففي بعض الأحيان يتمّ تركيب عدّة أغصان مختلفة على ساق واحدة، وبعد نمو هذه التراكيب تُعطي كلّ واحدة منها نوعا خاصا من الثمر، فالتربة واحدة والساق والجذر واحد ولكن الثمر مختلف والأعجب من ذلك أنّها تُسقى بماء واحد... ونفضل بعضها على بعض في الأكل)).[١٠٧]

ثانيا: التعجب بنداء الحسرة:

تميّز الزجاج بجعل هذا النداء الذي سمّاه بـ(دعاء الحسرة) يفيد معنى التعجب وذلك قوله: ((ومعنى النداء في هذه الأشياء التي لا تعقل إنّما هو تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة، إذا قلتَ: يا عجباه، فكأنك قلت: اعجبوا، ويا أيّها العجب هذا من حينك، وكذلك إذا قال: يا بشرايَ، فكأنّه قال: ابشروا، وكأنّه قال: يا أيتها البشرى هذا من إبانك وأوانك)).[١٠٨]

قال تعالى :﴿**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[١٠٩]. قال الزجاج: (("يا حسرةً على العباد": هذه من أصعب مسألة في القرآن، إذا قال القائل: ما الفائدة في مناداة الحسرة. والحسرة ممّا لا يُجيب؟ فالفائدة في مناداتها كالفائدة في مناداة ما لا يعقل؛ لأنّ النداء باب تنبيه...، والمعنى: يا عجبُ اقبل فإنّه أوقاتك، وإنّما نداء العجب تنبيه، لتمكّن علم المُخاطب بالتعجب من فعله. كذلك إذا قلت: ويلٌ لزيد، أو ويلُ زيدٍ، لمَ فعل كذا وكذا كان أبلغ)).[١١٠]

وكشف الطبرسي عن معنى الوقف على لفظة (حسره) بالهاء في قراءة، قال: ((من قرآ[١١١]: "يا حسره على العباد" بسكون الهاء، فيمكن أن يكون (حسرة) غير معلّقة بـ(على) فيُحسن الوقف عليها، ثمّ تعلّق: (على) بمضمر يدلّ عليه قوله: (حسرة)، كأنّه قال: أتحسّر على العباد. وعلى هذا فيمكن أن يكون ذلك لتقوية المعنى في النّفس، وذلك أنّه موضع تنبيه وتذكير، فطال الوقف على الهاء، كما يفعله المُستعلِم للأمر المُتعجب منه الدال على أنّه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره)).[١١٢]

وقال تعالى :﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾[١١٣]، الكلام قبل التصريح بالعجب في تذييل الآية الكريمة يتضمّن معنى التعجب، أمّا التصريح فجاء مؤكِّدا لهذا المعنى ولغرض إقامة الفواصل.

قال الطبرسي: ((قالت سارة: ﴿**يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ**﴾ أي هذا شيء عجيب أن ألدَ -وقد شختُ- من زوج شيخ، ولم تشكَّ في قدرة الله تعالى، ولكن إنّما قالت ذلك لكونه خارجا عن العادة، كما ولّى موسى مُدبرا حين انقلبت عصاه حيّة حتى قيل له: ﴿**أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ**﴾[١١٤]... ولم ترد بقولها: (يا ويلتي) الدعاء على نفسها ولكنّها كلمة تجري على أفواه النساء إذا طرأ عليهنّ ما يتعجبن منه)).[١١٥]

وقال الزجاج: ((فإنْ قال قائل: ما معنى دعاء الحسرة –وهي لا تعقل ولا تُجيب؟ فالجواب عن ذلك: أنّ العرب إذا اجتهدت في الإخبار عن عظيم تقع فيه جعلته نداءً، فلفظه لفظ ما يُنبّهُ والمُنبّه غيره، مثل قوله

تعالى :﴿**يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾[١١٦]، وقوله: ﴿**يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ**﴾، وقوله :﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا**﴾[١١٧]، فهذا أبلغ من أن تقول: أنا حَسِرٌ على العباد، وأبلغ من أن تقول: الحسرةُ علينا في تفريطنا...)).[١١٨]

ومثله قوله تعالى :﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾[١١٩]. شبهّوا الموت بالرقاد من حيث عدم ظهور الفعل والاستراحة من الأفعال الاختيارية، ويجوز أن يكون المرقد على حقيقته، والقوم لاختلاط عقولهم ظنوا أنهم كانوا نيامًا ولم يكن لهم إدراك لعذاب القبر لذلك استفهموا عن موقظهم؟ قال الآلوسي: ((**"قالُوا"** -أي في ابتداء بعثهم من القبور-: **"يَا وَيْلَنَا"**، أي يا هلاكنا أحضر فهذا أوانك، وقيل: أي يا قومنا انظروا ويلنا وتعجبوا منه)).[١٢٠]

الخاتمة:

توصل البحث إلى جملة من النتائج لعلّ أهمها ما يمكن إدراجه في النقاط الآتية:

١- ورد التعجب بالصيغ غير القياسية باستعمال الاستفهام الإنكاري، إذ يستنكر المتعجب غرابة حال شيء أو سلوك لم يتغيّر أُسوة بنظائره، التي تغيّرت بحُكم عوامل ملزمة للتغيير، ومثال هذا النوع من التعجب: (ما لكَ قائمًا والناسُ قيام).

٢- اضطرب النحو التقليدي في توجيه أسلوب التعجب الخبري بزيادة (كان) في قولنا: (ما كانَ "الطيبَ/ الطيبُ" إلّا المسكُ)، وحركة رفع المسند إليه (الطيبُ) لا إشكال فيه، أمّا حركة النصب فحُملت على القياس بالنواسخ، وهذا غلط جسيم، ولّد مشكلة عويصة، إذ جعلوا المسند إليه خبرا مقدّما لـ(كان)، وجعلوا المسند مبتدأ مؤخّرا، جريا وراء الحركة، وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وما كانَ حجّتَهم إلّا أن قالوا...)، فيُصبح التقدير فاسدا بتقدير: (ما كان قولُهم كذا إلّا حجتهم).

٣- ورد التعجب الخبري بأسلوب حصر السلوك العام بالخاص الأفضل أو الأسوأ على الإطلاق، وهناك أدتا حصر، **أولاهما**: (ما... إلّا ...)، **وثانيتهما**: (إنّما)، إذ حصرت هاتان الأداتان السلوك العام: الحسن، والمُحايد، والأسوأ من، والأسوأ على الإطلاق، حصرتهما بالأسوأ على الإطلاق أو الأحسن على الإطلاق، وهو ما يثير الدهشة من حال المُتعجب منه لغربتها.

٤-ورد التعجب في حدوث المعجزات كثيرا في القرآن الكريم؛ لأنّ المعجزة دليل على صحّة نبوّة النبيّ المُرسَل؛ لأنّها خارقة للمألوف؛ لذلك تحمل المُشكك على الإيمان بوجود الله تعالى، وتزيد المؤمن إيمانا، أمّا من لم يؤمن فلا يوصف إلّا أنّه فاسد الفطرة معاند يتّبع الأهواء بدلا من العقل، فهو ميئوس من إصلاحه؛ لذا يجب قتاله. وقد ورد التعجب بنداء الحسرة بأسلوب: (يا ويلتا، يا ويلنا، يا حسرةً على العباد)، وهو نداء ما لا يعقل، وذلك أمر عجيب.

هوامش البحث:

[١] المقرب، ابن عصفور: ١١٥.

[٢] مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٠٧/٥.

[٣] التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٨٤/١١.

[٤] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٤٩٠/١، وينظر: روح المعاني، الآلوسي: ٣٩٠/١.

[٥] ينظر: الكتاب، سيبويه: ٤٦٥/١.

[٦] ينظر: نظرية النحو المقامي، د. تومان غازي الخفاجي ومزيلاه: ١٦٥.

[٧] ينظر: التعجب في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية موضوعية، إعداد: ولين بن حزم بن كديميس العتبي، رسالة ماجستير: ٢٦-٢٧.

[٨] سورة البقرة: ١٦٤.

[٩] سورة النمل: ١٨-١٩.

[١٠] سورة البقرة: ٢٠٤.

[١١] الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعلبي: ١٢٢/٢.

[١٢] ينظر: شرح ابن عقيل: ١٥٢/٣، ومعاني النحو، د. فاضل السامرائي: ٢٤٠/٤.

[١٣] شرح ابن عقيل: ١٥٥/٣.

[١٤] معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ٢٤٠/٤.

[١٥] سورة المدثر: ٤٩-٥١.

[١٦] ينظر: المقرب، ابن عصفور: ١١٥.

[١٧] مجمع البيان، الطبرسي: ٤٧١/١.

[١٨] سورة عبس: ١٧.

[١٩] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٥٩٦/٨-٥٩٧.

[٢٠] ديوانه: ٨٤، وفيه: ((فأحسنْ)).

[٢١] المقرب، ابن عصفور: ٧٦-٧٧.

[٢٢] سورة مريم: ٣٨.

[٢٣] التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٠٨/١٧.

[٢٤] المقرب، ابن عصفور: ٧٨.

[٢٥] معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ٢٤٥/٤.

[٢٦] سورة الكهف: ٥.

[٢٧] الكشاف، الزمخشري: ٢٥٠/٢، وينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٧٨/٢١.

[٢٨] الكتاب، سيبويه: ٥٦/٢.

[٢٩] سورة البقرة: ١٧٥.

[٣٠] الأمثل، الشيرازي: ١٩١/١٩.

[٣١] الكشاف، الزمخشري: ٦٥٧/٤.

[٣٢] التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣٢٩/٣٠.

[٣٣] سورة يوسف: ١١..

[٣٤] روح المعاني، الآلوسي: ١٩٣/١٢.

[٣٥] سورة الصافات: ١٥١-١٥٤.

[٣٦] سورة المائدة: ١٠٤.

[٣٧] الكشاف، الزمخشري: ٦٦/٤.

[٣٨] التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٨٣/٥٤.

[٣٩] معالم التنزيل، البغوي: ١٨٢/١.

[٤٠] مفاتيح الغيب، الرازي: ٩٢/١٢.

[٤١] سورة القلم: ٣٥-٣٦..

[٤٢] مجمع البيان، الطبرسي: ٥٠٨/١.

[٤٣] التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٩٢/٣٠.

[٤٤] لم يعرف قائله، وهو في: الأزهية، الهروي: ٢٩٨، ورصف المباني، المالقي:١٤٠، وشرح ابن الناظم: ١٠٠، شرح ابن عقيل: ٢٦٠/١.

[٤٥] رصف المباني، المالقي: ١٤٠.

[٤٦] شرح ابن الناظم: ٩٩-١٠٠، وينظر: شرح ابن عقيل: ٢٦١/١، والأشباه والنظائر، السيوطي: ٥٧/١، و٧٧.

[٤٧] شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: ٥٩.

[٤٨] الكتاب، سيبويه:٨٨/١، وجاء صدر البيت: (كأنّ سلافةً) في: المقتضب، المبرد: ٩٢/٤، والأصول في النحو، ابن السراج: ٦٧/١، ومغني اللبيب، ابن هشام: ٥٩١/٢، وشرح التسهيل، ابن مالك: ٣٣٨/١.

[٤٩] ينظر: الكتاب، سيبويه: ٨٧/١-٨٨.

[٥٠] ينظر: شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش: ٣٤٠/٤.

[٥١] مغني اللبيب، ابن هشام: ٩١٢/٢.

[٥٢] ينظر: المقتضب، المبرد: ٩٢/٤، هامش(١)، شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش: ٣٤١/٤.

[٥٣] البيت لخداش بن زهير من شواهد المقتضب، المبرّد: ١٩٤/٤، ولثروان بن فزارة في حماسة البحتري: ٢١٠، الكتاب، سيبويه: ٨٩/١.

[٥٤] الكتاب، سيبويه: ٩٢/١.

[٥٥] سورة العنكبوت: ٢٤.

[٥٦] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ١٨٩/٧.

[٥٧] سورة القصص: ٨.

[٥٨] الكتاب، سيبويه: ٣٧/١، وينظر: معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ٢٤١/٤.

[٥٩] ينظر: نظرية النحو المقامي، د. تومان غازي الخفاجي وزميلاه: ١٣٣.

[٦٠] ينظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال سالم مكرم: ٣٨١/٢.

[٦١] شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش: ٨٧/٥، وينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش: ٦٨٦/٥، الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٢٣٥/٢١.

[٦٢] سورة الجاثية: ٢٤-٢٥.

[٦٣] الكشاف، الزمخشري: ٢٩٤/٤.

[٦٤] شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش: ٣٤٢/٤.

[٦٥] ينظر: البحر المحيط، الأندلسي: ٣٣٤/٤، معجم القراءات القرآنيَّة، د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال سالم مكرم: ١٩٧/٢.

[٦٦] سورة الأعراف: ٨٣-٨٤.

[٦٧] ينظر: الكشاف، الزمخشري: ٥١٣/٣، معجم القراءات القرآنيَّة، د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال سالم مكرم: ٣٩٦/٤.

[٦٨] سورة الجاثية: ٢٦.

[٦٩] الكتاب، سيبويه: ٩٠/١-٩١.

[٧٠] م.ن: ٨٨/١.

[٧١] سورة الأنعام: ٢٣.

[٧٢] ينظر: الكشاف، الزمخشري: ١٤/٢، البحر المحيط، الأندلسي: ١٢٦/٤، معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم: ٢٥٩/٢.

[٧٣] سورة الأنعام: ٢٤.

[٧٤] سورة النمل: ٥٦.

[٧٥] سورة البقرة: ٢٢١.

[٧٦] سورة الفرقان: ٢٤.

[٧٧] رسالة الإفصاح، ابن الطراوة: ٢٠، وينظر: نظرية النحو المقامي، د. تومان غازي الخفاجي وزميلاه: ١٠٤.

[٧٨] ينظر: شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش: ١٩٩/٢، ومغني اللبيب، ابن هشام: ٣٠٢/١.

[٧٩] ينظر: الكتاب، سيبويه: ٢٠١/١. جملته: (ما كانَ الطيبُ إلاّ المسكُ).

[٨٠] خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي: ٥٨/٤، أمالي ابن الشجري: ٢٠٣/٢.

[٨١] المسائل الحلبيات، أبو علي الفارسي: ٥/٢-٦.

[٨٢] ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٣٣٠.

[٨٣] سورة البقرة: ١٤.

[٨٤] دلائل الأعجاز، الجرجاني: ٢٣٤-٢٣٥.

[٨٥] ينظر: رسالة الإفصاح، ابن الطراوة: ٢٠، والمحيط، الأنطاكي: ٢٤٣/١.

[٨٦] سورة البقرة: ١١-١٢.

[٨٧] الكشاف، الزمخشري: ١٠٠/١-١٠١.

[٨٨] سورة المساء: ١٧.

[٨٩] التبيان في إعراب القرآن، العكبري: ٣١/٢.

[٩٠] الكشتف، الزمخشري: ١٠١/١.

[٩١] سورة يوسف: ٣١.

[٩٢] دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٢٣٠.

[٩٣] ديوان الفرزدق: ٢٢٣/١، الكتاب، سيبويه: ١٠٣/١، رصف المباني، المالقي: ٣١٢، الجنى الداني، المرادي: ٣٢٤، شرح ابن عقيل: ٢٧٢/١.

[٩٤] م.ن: ٢٧٢/١.

[٩٥] الكتاب، سيبويه: ١٠٤/١.

[٩٦] ينظر: نظرية النحو المقامي، د. تومان غازي الخفاجي ومزيلاه: ٧٨.

[٩٧] شرح ابن عقيل: ٢٧٢/١، هامش (١).

[98] رصف المباني، المالقي: ٣١٣.

[99] سورة الأعراف: ٨١-٨٢، وسورة النمل: ٥٦.

[100] فلسفة الدين، جون هيك: ٥٧.

[101] سورة هود: ٧١.

[102] التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٩/٦٦-٦٧.

[103] سورة المؤمنون: ٥٠.

[104] مجمع البيان، الطبرسي: ٥/٢٧٣.

[105] الجنى الداني، المرادي: ٦١.

[106] الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي: ٧/٣٣٤.

[107] سورة الرعد: ٤.

[108] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٣/٩٧، وينظر: من آراء الزجاج النحوية، قراءة في (معاني القرآن وإعرابه)، د. شعبان صلاح: ١٠٥-١٠٦.

[109] سورة يس: ٣٠.

[110] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٤/٣٠، وينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٨/٦٥٨.

[111] وهي قراءة أبو الزناد، وعبد الله بن ذكوان المدني، وابن هرمز، ومسلم بن جندب، وعكرمة. ينظز: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم: ٥/٢٠٥.

[112] مجمع البيان، الطبرسي: ٨/٦٥٨.

[113] سورة هود: ٧٢.

[114] سورة القصص: ٣١.

[115] مجمع البيان، الطبرسي: ٥/٢٧٤.

[116] سورة الزمر: ٥٦.

[117] سورة يس: ٥٢.

[118] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٢٤١/٢.

[119] سورة يس: ٥٢.

[120] روح المعاني، الألوسي: ٣٢/٢٣.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١. الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي(ت٤١٥هـ)، تحقيق عبد الغني الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (١٣٩١هـ/١٩٧١م).

٢. الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي (ت٩١١هـ)، وضع حواشيه: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢(١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٣. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي(ت٣١٦هـ)، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط٤، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٤. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سوريا،ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٥. أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي(٤٥٠-٥٤٢هـ)، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، مصر، ط١، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٨. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٩. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله العكبري(ت٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

١٠. التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

١١. التعجب في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية موضوعية، إعداد: وليد بن حزم بن كديميس العتبي، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٣٢-١٤٣٣هـ).

١٢. الجنى الداني في حروف المعاني، صنعة الحسن بن قاسم المرادي(ت٧٤٩هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

١٣. الحماسة لأبي عُبادة الوليد بن عبيد البحتري(ت٢٨٤هـ)، تحقيق: د. محمد إبراهيم حور، وأحمد محمد عبيد، هيأة أبي ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

١٤. خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر علي بن عبد، المعروف بابن حجة الحموي(ت٨٣٧هـ)، دراسة وتحقيق د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).

١٥. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

١٦. ديوان الفرزدق، عني بجمعه وضبطه والتعليق عليه: عبد الهادي الصاوي، مطبعة الصاوي، مصر (د.ت).

١٧. ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نمجم، دار صادر، بيروت، ط٣، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

١٨. رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الايضاح، ابن الطراوة النحوي(ت٥٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

١٩. رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي (ت٧٠٢هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (د.ت).

٢٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمد الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: محمد أحمد أمين، وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٢١. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك(ت٦٨٦هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٠م

٢٢. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق ابن عقيل، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد، قم، ط١، (١٤٢٩هـ).

٢٣. شرح التسهيل، جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٢٤. شرح المفصل للزمخشري، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت٦٤٣هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه، د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٢٥. شرح ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس،١٩٨٠م.

٢٦. فلسفة الدين، جون هيك، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، ٢٠١٠م.

٢٧. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ(سيبويه)، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٢٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، حققها على نسخة خطية: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

٢٩. الكشف والبيان في تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت٤٢٧هـ)، تحقيق: محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٣٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاختصاصيين، قدم له محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٣١. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، شارع سوريا، بيروت، ط١، (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

٣٢. المسائل الحلبيات، أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٣٣. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي(ت٥٤٠هـ)، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

٣٤. معاني القرآن وإعرابه، المسمى المختصر في إعراب القرآن ومعانيه، تأليف أبي اسحق إبراهيم محمد بن السري الزجاج(ت٣١١هـ)،علق عليه ووضع حواشيه: أحمد فتحي عبد الرحمن حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٣٥. معاني النحو، د. فاضل السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٣٦. معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، منشورات، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ط٣، ١٩٩٧م.

٣٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام(ت٧٦١هـ)، حققه وفصّله وضبط غرائبه: محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ت).

٣٨. مفاتيح الغيب، محمد بن فخر الدين بن ضياء الدين الرازي(ت٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٣، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٣٩. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، مطبعة أميران، قم، ط٣، (د.ت).

٤٠. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مصر، لجنة إحياء التراث الإسلامي. (د.ت).

٤١. المقرّب ومعه مُثُل المقرب، أبو الحسن علي بن المؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الحضرمي الأشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

٤٢. من آراء الزجاج النحوية، قراءة في (معاني القرآن وإعرابه)، د. شعبان صلاح، دار الثقافة العربية، القاهرة، (١٤١١هـ/١٩٩١م).

٤٣. نظرية النحو المقامي في دراسة الجملة العربية، د. تومان غازي الخفاجي وزميلاه، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٤م.